إضاءة

استند المدافعون عن الأبجدية العثمانية إلى أنها الجسرُ بين الإرث والإسلام ولغة الناس وذاكرتهم وتراثهم، بينما اعتبر خصومهم بأن الحروف العربية تتنافى مع القومية التركية وتحيف اللحاق بالغرب، وقد فرض هؤلاء رأيهم بقوة الدولة وكاريزما الزعيم

إسطنبول ـ **أحمد زكريا**

تسعة عقود على إعدام الأبجدية العثمانية

حين تركوا الجسر

لم يكن سهلاً على الشعب التركي، أن يستيقظ في اليوم الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 1928 على قرار اعتماد الحرف اللاتيني بدلاً من الحرف العربي في الأبجدية العثمانية، باعتباره تتويجاً لسلسلة من القرارات التي اتخذتها دولة الحزب الواحد برئاسة أتاتورك، من أجل «تحديث» المجتمع. بدءاً بإغلاق تكايا الدراويش ومنع ارتداء العمامة والطربوش واستبدالهما بالقبعة الغربية عام 1925، مروراً باعتماد التقويم الأوروبي والقانون المدني السويسري والجنائي الإيطالي، وانتهاء بقرار تغيير الأبجدية الذي لم يمر بسهولة.

ومن دون شك، كانت قرارات مصطفى كمال في ما يتعلق بمسألة تغيير الأبجدية ناتجة عن أسباب إيديولوجية في المقام الأول، بهدف إبعاد تركيا الحديثة عن العالم العربي والإسلامي وتوجيه المجتمع نحو الغرب. إلا أن «مشكلة الأبجدية» كانت محل نقاش دائم منذ منتصف القرن التاسع عشر، وتحديداً عام 1862 حيث دعا منيف باشا، ناظر المعارف، لإجراء إصلاحات في الأبجدية العثمانية. وتتلخص أسباب دعوته تلك في أن المواطن العثماني تصعب عليه قراءة بعض الكلمات التركية التي ليست من أصل عربي أو فارسي، وخصوصاً بعد أن قلّ عدد العارفين بالعربية والفارسية، اللتين كانتا لغة الثقافة في الدولة العثمانية قديماً.

ولخّص المنادون بإصلاح الأبجدية آنذاك أسباب دعوتهم هذه بأن اللغة التركية تحتوي على ثمانية أحرف صوتية يقابلها ثلاثة أحرف علّة فقط في العربية، فكانت هناك بعض الكلمات التي تُكتب بنفس الطريقة ولا تُفهم إلا حسب السياق، وخصوصاً لأن الحركات الإعرابية لم تكن مستخدمة في تلك الأبجدية.

خفتت هذه النقاشات في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، لكنها عادت بقوة في العهد المعروف بـ«المشروطية الثانية» (1908-1920)، ومن بين محاولات إصلاح الأبجدية آنذاك، ما قام به أنور باشا بعدما أصبح ناظراً للحربية، حيث قدّم نظاماً للجيش عُرف بـ«الحروف المنفصلة» لتسهيل القراءة والكتابة والتواصل بين الجنود، لكنه لم ينجح ولم يُستخدم إلا في الأمور العسكرية فقط. ولم تقتصر النقاشات آنذاك على «إصلاح» الأبجدية، ولكن طُرحت بوضوح فكرة استبدالها بالحروف اللاتينية، بعد ازدياد البعثات إلى أوروبا وتبنّي النخبة العثمانية لمشاريع إصلاح الدولة العثمانية على الطراز الأوروبي. نستنتج من هذه الأمثلة أن أطروحات عديدة تم تقديمها في القرن التاسع عشر بخصوص إصلاح الأبجدية، إلا أن هذه النقاشات قد أخذت منحى مختلفاً تماماً بعد قيام الدولة التركية، ومحاولة أتاتورك «تأسيس» قومية تركية، متبنياً أفكار عالم الاجتماع ضياء جوك ألب، المعروف بأبي القومية التركية.

وكان أول طرح رسمي لمسألة استبدال الأبجدية في مؤتمر إزمير الاقتصادي الشهير عام 1923، لكنه لاقى اعتراضاً كبيراً من رئيس المؤتمر الفريق كاظم كارا بكير، أحد رموز حرب الاستقلال، وصديق أتاتورك الشخصي، كما ذكر الباحث التركي مراد بلجه في بحثه المعنون بـ«مشكلة التركية»، وبحسبه أيضاً فإن كارا بكير قد حذّر أتاتورك من أن تغيير الأبجدية يعني أن الأجيال التركية الجديدة لن تتمكن من قراءة تراثها.

وصارت هذه القضية محل خلاف كبير بين النخب السياسية والثقافية التركية، واستند المدافعون عن الأبجدية العثمانية إلى أنها هي الجسر بين الأتراك والإسلام، وتغيير هذه الأبجدية سيتسبّب لاحقاً في بروز إشكاليات أيديولوجية واجتماعية. وكان المؤرخ والسياسي المعروف محمد فؤاد كوبرولو على رأس هذه المجموعة، حيث رأى أن التقدّم لا يتم باستخدام الحروف اللاتينية. أما الفريق الآخر فكان يرى أن الأبجدية العثمانية تتنافى مع القومية التركية وتعيق تركيا عن «اللحاق بالحضارة الغربية». وكان الكاتب حسين جاهد يلتشين، من أبرز من نادوا بتغيير الأبجدية، بدعوى أن الأبجدية القديمة يصعب تعليمها للأطفال، وحتى الكبار لا يتلفظون كل الكلمات بشكل صحيح، ولم يعد هناك أي رابط بهذه الأبجدية بعد الآن. ظهرت هذه النقاشات على صفحات الجرائد أيضاً، وتم إجراء أكثر من استطلاع رأي حول هذه المسألة حتى اتخذ أتاتورك أول خطوة في سبيل حسم تلك القضية بتأسيس لجنة لغوية، انعقد اجتماعها الأول عام 1928، وترأسها بنفسه، ومعه الروائي والدبلوماسي الشهير يعقوب قدري وبعض الأدباء الأتراك الآخرين، وحُسمت القضية بالفعل وتم اعتماد الحروف اللاتينية. أثار أتاتورك بعد ذلك هذه القضية في خطاب شعبي له، وحثّ الناس على تعلّم الأبجدية الجديدة، التي اعتبرها وظيفة كل فرد في الأمة التركية. ومنذ اليوم الأول من شهر كانون الثاني/ يناير عام 1929 أصبح استخدام الحروف اللاتينية إلزامياً، ومُنع استخدام الأبجدية العثمانية.

> بتغيير الأبجدية، قُطعت الأجيال التركية الجديدة عن تراثها
>
> جرت محاولة لتصفية التركية من الكلمات العربية والفارسية

إلا أن المشكلة لم تنته بهذا القرار، فبعد اعتماد الحروف اللاتينية نادى بعض مثقفي ذلك الوقت، والذين عُرفوا باسم «الصفائيين» بـ«تصفية» اللغة التركية من الكلمات العربية والفارسية! بينما رأى التيار الآخر أن اللغة لا يمكن تغييرها بمرسوم، إلا أن أتاتورك كان يميل إلى التيار الأول، وبالفعل أمر بتأسيس جمعية لدراسة اللغة التركية، وبدأ أعضاؤها في جمع كلمات من اللهجات المحلية ومن المصادر الأدبية المكتوبة بالتركية القديمة ما قبل العثمانية، التي كان يتحدثها الأتراك في وسط آسيا.

المفارقة أن أتاتورك نفسه قد ألقى عدة خطابات بهذه «اللغة الجديدة» ولم يفهمها أغلب الشعب. فأمر بتشكيل حركة عُرفت بـ«الإصلاح اللغوي»، كما أقام العديد من المؤتمرات اللغوية التي دعا لها كبار علماء اللغة حول العالم لإيجاد وسيلة لسدّ الفراغ الذي أحدثه غياب المفردات العربية والفارسية في هذه اللغة الجديدة، لكن حركة الإصلاح اللغوي لم تتمكن من حل هذه المشكلة، وقدّمت أخيراً نظرية إلى أتاتورك عُرفت بـ«لغة الشمس» مفادها أن كل اللغات قد انشقّت من لغة بدائية كانت تُحكى في آسيا الوسطى ثم تطوّرت عنها، فلا حاجة إذا إلى تصفية اللغة التركية.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أبجدية عثمانية على شواهد الأضرحة، من مقبرة في إسطنبول (Getty)

تراث للمختصين فقط

لم تعلّق أمّة «الشكالية لغوية» مثلما عاش الإرث على مدار عقود، حاول خلالها النظام الحاكم أن يلغي ماضيا مشتركا للأتراك مع العرب وغيرهم. فأغلب الأجيال الجديدة الآن لا تستطيع أن تقرأ القسم الأكبر من تراثها بالفعل، لأن المختصين لم يتمكنوا حتى الآن من ترجمة أغلبه. إلا أن التقارب مع العالم العربي وتخيّر النظرة الى الثقافة العربية في العقدين الأخيرين في تركيا، لا بد أن يؤتي ثمارا خلال السنوات القادمة.

قصة

لا يطيقون اللف إلا لدورة واحدة

عشم الشبّان الثلاثة في كلوت بك

حجّاج أدّول

ثلاثتنا سكندريون من ذوي اللون الأسمر مثل العسل الأسود وقد أضيف عليه بعض من الطحينة فتخفّف اللون قليلاً، أنا من أبوين نوبيين هاجرا للإسكندرية بسبب بناء خزّان أسوان وإغراق القرى النوبية، وحمادة من أب نوبي وأم لا، ولا أعرف متى هاجر أبوه. أما برعي وهو ثالثنا ومفجّر الضحك والضرب فينا، فهو أصلاً من قرية على بعد قليل من شمال مدينة أسوان، ولا أعرف لماذا هاجر أبواه.

كنا على معرفة بسيطة ببعضنا في الإسكندرية، لكن ذهبنا لأسوان وعملنا في شركة كبرى تعمل في بناء السد العالي. سكنّا في بلوكات معاً وتعمّقت صداقتنا، أنا مخبول بشراء الكتب والقراءة، وحمادة أدمن استعارة كتبي، فيعيد بعضها وبعضها لا. وحمادة أيضاً مريض بالرومانسية، فيقع دائماً في حب كل فتاة يراها في أسوان، وبرغم رغم قوة جسده، فهو يرتعب من الحسد، خاصة إن نظر أحدهم بتركيز في عينيه! فهو مرزوق بعينين واسعتين جميلتين، رغم شيء من الجحوظ البسيط. مجرّد الإعجاب بعينيه يصيبه بحالة عصبية، حتى لو المعجب فتاة! هو هكذا مصاب بقوبيا الحسد.

نحن الثلاثة أصدقاء مقربون. معنا مجموعة أكبر من الشباب، كلنا في بداية العشرينات من العمر، متنوّعو المشارب والأمزجة والحماقة. وقتنا كله إما في البلوكات المخصصة للإعاشة، أو في مكاتبنا خلال العمل، ووقت بسيط في مطعم الشركة. ثم فراغ ممل. قليلاً ما ننزل بعد الغروب لأسوان، فأسوان وقتها كانت مدينة بسيطة ليس فيها من المغريات الشبابية إلا القليل. السينمتان المتواجدتان ندخلهما أحياناً، وأيضاً التمشية على النيل، فقط.

بجوار بلوكاتنا، يتواجد ملعب كرة قدم ليس له مدرّجات، بل مجرد مظلة صغيرة بسيطة، يا هول ما أقول، فالشمس رهيبة خاصة في الصيف. أحياناً في نهارات أيام الجمع، نذهب لنلعب مباريات كرة بسيطة. وقبل اللعب أحبّ أن أعدو حول الملعب أكثر من مرة للتسخين. وكل من كانوا معي لا يطيقون اللف إلا لدورة واحدة، في ما عداي أواصل للثالثة والرابعة، دوماً لياقتي عالية.

خلال تدريبنا ذات جمعة في ملعب كرة القدم، خطر لي أن أطلب من برعي المصارع أن يدرّبني على المصارعة، وافق صديقي بخبأثة، فأنا دائماً ما أشاكسه وأتمعن في عينيه وأقول له إن عينيه واسعتان مثل «فنجانين واسعين من القهوة».

يطاردني وإن أمسكني فسأنال منه، يضع حركات مصارعة يلوي فيها ذراعي أو عنقي أو يطرحني فيها أرضاً. وأحياناً لا أتكلم، فقط أتمعّن في عينيه فيثور ويهدّدني إن نطقت فسيكون عقابي كسر العنق. المهم. وافق برعي على تدريبي. وبدأنا بكلمات بسيطة منه كمدرّب محترف يراعي بدايات المبتدئ الذي أمامه، أعطيته الأمان، فأذا به يمسكني من تحت باطي ويقذفني لأعلى فأطير في الفضاء ثم أسقط على وجهي وأصاب بسجاجات مؤلمة، وصرت فضحكة لكل من حولنا. طبعاً لو هجمتُ عليه لأنتقم منه، فسيمسك بي ويسحلني على عشب الملعب، فلم أجد سوى مغالبته بنظام الحسد الذي يرعبه، فدعوت الله أن يطفئ مصباحي عينيه اللتين تشبهان مصابيح الأتوبيس. فإذا ببرعي يثور ثورة أخيلية ويلعنني ويهجم علي ليحطمني تحطيماً. هربتُ من أمامه عدواً حول الملعب وبرعي الغاضب يعدو خلفي وهو مستمرّ في اللعنات وتفجير أقذع الشتائم. لففنا حول الملعب دورة، وخلال الثانية تعب برعي وجلس وأنا استمريت في العدو حتى بلوكات النوم، حمام سريع وبدلت ملابسي ثم اختفيت من برعي حتى ظهر اليوم التالي حين تقابلنا في مطعم الشركة، كان قد برد غضبه، ولم يفعل سوى استمرار الشتائم، وبعد الشتائم لان وتربّجاني ألا أقرب من أي حديث عن عينيه، فهو يدّعي أنه يصاب بألام في عينيه حين يتمعنّ فيهما أحد، فما الحال حين يحسده أحد، حتى لو كان الحسد مزاحاً من أصدقائه المقربين؟! وافقت طبعاً لأيام معدودات ثم عدت لأشاكسه وعاد هو لضربي.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

بطاقة

كاتب مصري من مواليد الإسكندرية عام 1944. من مؤلفاته: «ليالي المسك العتيقة» (1989)، و«الكُشّر» (1992)، و«خُوند حمرا» (2006)، و«رحلة السندباد الأخيرة» (2009)، و«ثلاث برتقالات مملوكية» (2011)، و«كَديسة» (2015)، و«الأمير دهشان والجارية الطيبة» (2018).

حجّاج أدّول

كتاب

2/1 كيلو من السعادة كيف يبدو العالم بدون شعر؟

فخري رطروط لأني في المكان الخطأ

في مجموعته الشعرية السابعة الصادرة حديثاً، يكتب الشاعر الفلسطيني الأردني المقيم في نيكاراغوا، فخري رطروط (1972) أمام ذاته في حوار طويل مبتدؤه الأسئلة، ومنتهاه أيضاً، مشغولاً بالهامش والعابر وغير المألوف ليتابَد في قصائده التي ضمّتها مجموعته الجديدة «2/1 كيلو من السعادة»، الصادرة حديثاً في عمّان عن «خطوط وظلال للنشر والتوزيع».

ينظر صاحب «جنّة المرتزقة» إلى العالم غير متيقّن من توازنه المزعوم، وترتيبه الظاهر، واكتماله المدّعى، فيبدأ كما طفل يتلاعب بالصور والمشاهد والزمن واللغة من حوله معيداً تركيبها، متسائلاً ببراءة ممتزجة بالشك: «هل سيكون العالم سعيداً بلا ساعات/ هذه الساعات بماذا تريد أن تُذكّرنا/ ألا تتعب...».

كُتبت نصوص مجموعته السابعة هذه بين عامي 2005 و2016، وتغلب عليها الكتابة الشذرية بتداعيات لا يمكن ملاحقتها، دهشة وفضولاً، موزّعاً إياها على نصوص حملت العناوين: «أسئلة سبتمبر: إلى بابلو نيرودا»؛ «يربي في زريبته قطيع شعراء»؛ «العابُ سوريالية»؛ «بقايا خمر».

يكتب رطروط في مقطع من قصيدة «يربي في زريبته قطيع شعراء»:

كيف يبدو العالم بدون شعر؟
كمبولة في بار شعبي مزدحم.
هل لديك علاج لألامي؟
أجل، ابتعد عن الشعر...
سألوا شاعراً لاتينياً ماذا تعمل؟
أجاب: كما تعمل العصافير.

ويعود إلى الشعر في قصيدة «بقايا خمر»، فيدوّن:

«إن لم يكن هناك تناسخ أرواح،
فثمة تناسخ لعنات، الشعر على سبيل المثال.
الشعر، وأعني به قدح الطين بالدم،
ما سيتطاير هو أنت.

> إن لم يكن هناك تناسخ أرواح، فثمة تناسخ لعنات، الشِعر مثلا

الشِعر، لأني في المكان الخطأ».

رطروط الذي يكتب من غربة مديدة في عوالم أميركا اللاتينية، حيث يعيش منذ قرابة عقدين، يغرف من مخيلة تكاد تكون لاتينية بصورها ومفرداتها، بغرائبيتها وهمومها. وكشاعر قادم من قضية كبرى كالقضية الفلسطينية فإن شعره شعر هامش.

في حديث سابق إلى «العربي الجديد»، يقول الشاعر «سأدّعي بأني قارئ نفسي. لا أعرف إن كنتُ مقروءاً أم لا، لا يوجد مقياس يحدّد ذلك، لكن تصلني رسائل كثيرة من أناس لا أعرفهم يشيدون بما أكتب، وهذا يكفيني، القارئ العادي هو من أخاطبه، أعتقد بأنني أحترم القارئ، وأتمنى أن أحظى باحترامه، دون أن ننسى بأن الشعر تم حشره في الزاوية، والرواية تركب على كتفيه وتسرق أتباعه، الناس ينفضّون عن الشعر، ويروقهم أن يتركوه للنخبة، النخبة التي صنعها الشعراء بأنفسهم».

يُذكر أن فخري رطروط أصدر سابقاً ست مجموعات شعرية هي: «جنّة المرتزقة»؛ «صنع في الجحيم»؛ «400 فيل أزرق»؛ «البطريق في صيف حار»؛ «تحت جناحي المزق تستريح الريح»؛ «مستندٌ بلا عنوان». صدرت له مجموعتا مختارات مترجمة إلى اللغة الإسبانية، كما ترجم مجموعة «ملابس أميركية» للشاعر الهندوراسي دينس أبيلا إلى العربية وقد صدرت العام الماضي.

فخري رطروط (العربي الجديد)

شذرات

دائمًا ما جمعهم حبّهم المتبادل، ولكن ظروفًا أكبر منهم، وترتبط بماضي عائلتهم، ستفرقهم وتبعد بروين عن أختيه وتأخذه إلى مكان بعيد من هذا العالم معتقدًا أنه يكمل المسيرة الجهادية لوالده الذي لم يعرفه أبدًا.

كاملة شمسي ـ من رواية «نار الدار»، ترجمة: الحارث النبهان

إن الطبقة العاملة في خلال تطوّرها ستوجد مجتمعاً جديداً بدلاً من مجتمع الاعيان، فتزول حينئذ فوارق الطبقات وخصوصاتها، وإذ ذاك لا يبقى احتياج إلى وجود سلطة سياسية؛ لان السلطة ليست سوى اصطلاح فرضته الخصومات بين الطبقات المنقسمة بين بعضها على بعض في داخل جمعية الاعيان.

كارل ماركس ـ «بؤس الفلسفة»

ما من غبطة إلا و تحمل دلالة ما او تضطلع بوظيفة من الوظائف، ولا يمكن لها ان تكون بريئة في وضعها وموقعها وتركيبها ما دام تعيّن عليها ان تواجه بياض الصفحة الاولى.

محمد جبير (ناقد عراقي) ـ «الرواية الاستقصائية»

لا يعني الفقر هبوط المستوى المادي لمجتمع إلى مستوى اقلّ من مثيله في البلاد الاخرى، ولكن الفقر المادي الحقيقي قد يكون لاناس ميسوري الحال، ولكن طريقتهم في التصرُّف في ثرائهم فقيرة غاية ما يكون الفقر.

يوسف إدريس ـ «فقر الفكر وفكر الفقر»